الغربة والحنين منفذاً للشعر الوطني والقومي عند الشاعر الكاظمي

أ.م.د. عبد الرزاق كريم خلف
جامعة بغداد/كلية الفنون الجميلة

المقدمة:

ليس موضوع الغربة وما تعكسه من إيحاءات وضغوط وهم نفسي، على الشاعر العربي بجديد، فالغربة والحنين المرادف لها واكب مسيرة الشعر العربي منذ أقدم عصوره، لكن الجديد في رؤيتنا للغربة أن تكون وازعاً حقيقياً وبيّناً لموضوع شعري آخر كان حضوره بدايات القرن الماضي حضوراً فاعلاً للظروف السياسية المعروفة التي يمر بها الوطن العربي وهو يرزح تحت نير أنواع من الاستعمار العثماني منه والغربي، ألا وهو موضوع الشعري القومي والوطني.

ونالت الغربة والحنين في الشعر عناية من الباحثين وأفردت لها رسائل للماجستير والدكتوراه[1]. ولم تقتصر على شاعر دون غيره من شعراء العراق أبان الفترة التي عاشها الكاظمي وما تلاها فللرصافي باع في ذلك وللزهاوي والشرقي وغيرهم. لكن مما يلفت النظر حقاً أن يكون هذا الموضوع ظاهرة في شعر الكاظمي، وهنا يستحق التوقف والتمعن، حيث طول الفترة التي قضاها في الغربة، وسوء حالته المادية والصحية وحسه الوطني والقومي الأصلي، هذه عوامل تظافرت في بروز ظاهرة الغربة والحنين في شعره، ثم لتأخذ هذه الظاهرة مديات جديدة حيث امتزاج هذا الشعر بدوافع وطنية وقومية حاولنا إظهارها وإيضاح أبعادها الموضوعية ومن هنا فقد قسمت البحث على عدة موضوعات هي:

١- **<u>التمهيد</u>**: الذي تناولت فيه باختصار فكرة الحنين والغربة في الشعر العربي مع التوقف سريعاً عند حياة الكاظمي ومسببات هجرته لأن لهذه المسببات تأثير في سير قصائده ذات المضامين الوطنية والقومية كما سنرى.

٢- حنينه الذاتي (الشخصي) حيث حاولنا استخراج القصائد التي تناولت هذه الظاهرة حيث الشعر المختص بالحنين الذاتي الخالص غير الممتزج بدوافع أخرى.

---

[1] يلاحظ كتاب الدكتور (ماهر حسن فهمي): الحنين والغربة في الشعر العربي، ورسالة (محمد إبراهيم حور) الحنين إلى الوطن في الشعر العربي حتى العصر الأموي.

٣- متغير الغربة والشعر الوطني حيث القصائد الكبيرة التي عني فيها الشاعر بمعالجة وطرح موضوعات وطنية طرحاً سياسياً.

٤- متغير الغربة والحنين دافعاً للشعر القومي: حيث الكاظمي كما هو معروف قد كرس نفسه للقضية العربية فهو (شاعر العرب)، نادى بالوحدة وضم الشمل والدفاع عن الامة، حيث نلاحظ بأن طرح هذه الموضوعات القومية كان من خلال شعر غلب عليه الحنين والغربة.

٥- أمل العودة... معادل الغربة.. تخفيف همومها... صراع بين الواقع وبين طرح الشاعر المشروع بالعودة والالتئام بالوطن الأم.

الغربة والحنين في الشعر العربي:

ليس في نية البحث التعمق في دراسة ظاهرة الغربة في الشعر العربي لسببين الأول هو كونها ظاهرة مدروسة وقد أشرنا سابقاً لبعض الدراسات حولها والثاني ان هذه الظاهرة قد صبغت الشعر العربي فتميز بها. ومن هنا فإننا نمر مروراً سريعاً لإظهار أثر هذه الظاهرة في شعر أجدادنا من شعراء عصر ماقبل الإسلام فقط لسبب بسيط إذ نعتقد ان تأثيرات الشعر الجاهلي ستكون مستمرة ومحفزة لبقية العصور الأدبية حتى شعراء العصر الحديث أبان مطلع القرن الماضي. كذلك فإن الروح العربية على الرغم من مرور مئات السنين هي حنين جارف وتغرب وابتعاد وتنقل هنا وهناك عبر الوطن الشاسع أو أبعد من حدوده.

الصحراء تتطلب أن يكون الماء مرادفاً للإنسان وهي قاسية على من يعيش عليها الا أنها لم تتمكن من عكس صفاتها وخشونتها على إحساس الإنسان العربي الذي ظل رقيق الشعور عاطفي النزعة كريم الخصال، فكيف إذا ماكان شاعراً متميزاً عن غيره برهافة الإحساس ودقته. ومن هنا كانت ظاهرة التنقل وتتبع موارد العيش وينابيع الماء سمة من سمات الصحراء وهي ماعكست أيضاً كثيراً من الشعر الذي يتناول منازل أحبة هجرت ومرابع صبا فورقت، فالترحل فرض ظاهرة الحنين وفرض معها إحساساً بالغربة.

من هنا أيضاً يمكن أن نعد ظاهرة البكاء على الإطلال ومناجاة أطياف الأحبة والتوقف عند الاثافي والصخور حنيناً جارفاً لماضٍ انقضى وحياة هانئة ذاهبة انها غربة متأصلة في الذات العربية التي تحمل حزناً دفيناً وشوقاً عارماً.

ومن هنا كان أمامنا هذا الكم الهائل من الشعر الذي يحوي ذلك النزوع الطاغي للحنين لمنازل الأهل والأحبة والحاوي على (بكاء على الديار بعد هجرها وفيه حنين وشوق إليها)[١].

وقد تنبه القدماء من الكتّاب لهذا فالجاحظ يفرد رسالة من رسائله للحنين إلى الأوطان[٢] ويتناولها السيد المرتضى في أماليه حيث يوعز هذه الظاهرة لما كان يدور في أيام الشباب من اللهو والمرح والحياة الهانئة وما (لبسوه من ثوب الشباب)[٣]. وخير ماقيل في الحنين ماقاله إعرابي من بني عقيل:

أجِنُ إلى أرضِ الحجازِ وحاجتي خيامٌ بنجدٍ دونها الطرقُ يقصرُ
ومانظري نحو الحجازِ بنافعي فتيلاً ولكني على ذاكَ أنظرُ
أفي كلِّ يومٍ نظرةٌ ثم عبرةٌ لعينيكَ تجري ماؤها يتَحدَرُ
متى يستريحُ القلبُ أما مُجاورا حنين وأما نازحُ يتَذكَرُ[٤]

وما يؤكد عليه السيد المرتضى في أماليه يؤكده الحصري حيث أن (الناس يتشوقون إلى أوطانهم ولا يفهمون العلة في ذلك حتى أوضحها علي بن العباس الرومي في قصيدته:

ولي وطنٌ آليت الا أبيعهُ والا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدتُ به شرخُ الشبابِ ونعمة كنعمة قومٍ أصلحوا في ظِلالِكا
وحبَبَ أوطانُ الرجلِ إليهم مآربُ قضَّاها الشبابُ هُنالكا[٥]

فأيام الصبا سبب متفق عليه من الأسباب المهمة التي يثير الحنين إلى المواطن وتوطد شعور الغربة لدى الإنسان.

إن المرور السريع بدواوين بعض الشعراء الجاهليين يوضح لنا مدى انتشار هذه الظاهرة في شعرهم، فامرؤ القيس يقول:

ألا أبلغُ بني حجر بن عمر وابلغُ ذلكَ الحيَ الحريدا

---

[١] محمد إبراهيم حور: الحنين إلى الوطن في الشعر العربي حتى العصر الأموي: ٤٤.
[٢] الجاحظ: رسائل الجاحظ، الحنين إلى الأوطان/ج٢: ٣٨٤.
[٣] السيد المرتضى: أمالي المرتضى، ق٢: ١٥٢.
[٤] أبو اسحق الحصري: زهر الآداب، ج١: ٤١١.
[٥] نفسه: ٦٨٢.

بـــأني قـــد بقيـــتُ بقـــاءَ نفســـي ولـــم أخـــلْ ســـلاحاً أو حَديـــدا
فلـــو أنـــي هلَكـــتُ بـــدارِ قـــومي لقلـــتُ المـــوتَ حقـــاً خُلـــودا
ولكنـــي هلَكْـــتُ بـــأرضِ قـــومٍ بعيـــدٍ مـــن ديـــارِكُم بَعيـــدا[1]

إن ثقل الغرب ونوازع الحنين تشتد اشتداداً كبيراً حين يداهم الإنسان خطر الموت عند ذلك تجده بلا شعور ينزع نزوعاً تلقائياً نحو الارض التي ولد عليها. فكانت وصية الإنسان الأخيرة أن يُنعى في أرضه ووطنه. فامرؤ القيس يرفض فكرة الموت غريباً لما فيها من هم نفسي ثقيل عليه.

وعنترة بن شداد يعزى كبر سنه وازدياد شيبه إلى غربة الأوطان والاحباب:

أحرقتنـــي نـــارُ الجـــوى والبعـــادْ بَعْـــدَ فقـــدِ الأوطـــانِ والأولادِ
شـــابَ رأســـي وصـــارَ ابـــيضَ لونـــاً بعـــدَ ماكـــانَ حالكـــاً بالســـوادِ[2]

ودريد بن الصمة يتشوق إلى ديار قد درست ومادت:

لِمَـــنْ طُلَـــلُ بـــذاتِ الخمـــسِ أمســـى عفـــا بـــينَ العقيـــقِ فـــبطنِ خـــرسِ
أشـــبهها غمامـــة يـــومٍ دجـــنٍ كـــلألأ برقهـــا أو ضـــوء شـــمسِ[3]

ويقول زهير بن أبي سلمى:

قِـــفْ بالـــديارِ التـــي لـــم يَعْفهـــا قـــدمُ بلـــى وغيرهـــا الأرواحُ والـــديمُ
لا الـــدار غيرهـــا بُعْـــدُ الانـــيسِ ولا بالـــدارِ لـــو كلمـــتُ ذا حاجـــةٍ صَـــمِمُ[4]

الكاظمي الإنسان:

في بيئة دينية ومن بقعة مقدسة في بغداد ولد الكاظمي عام (١٨٦٥)[5] وهو عبد المحسن بن محمد بن الحاج علي بن محسن الكاظمي[6] ويرجع بأصله إلى نخع[7]. عاش ظروفاً اقتصادية صعبة فقد كان (والده وهو معروف بالغنى يتأبط عباءة خلقة ممزقة لكي لايراها الناس)[8] فغرق بغداد ووباء الطاعون إذ ذاك وتخلي السلاطين العثمانيين عن

---

(١) ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم: ٢١٣.
(٢) ديوان عنترة بن شداد: شرح وتحقيق عبد المنعم رؤوف: ٦٧.
(٣) ديوان دريد بن الصمة: جمع وتحقيق محمد خيري البقاعي: ٤٥.
(٤) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى/ثعلب: ٤.
(٥) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٤: ٢٩٦.
(٦) حسين علي محفوظ: عراقيات الكاظمي: ٥.
(٧) نفسه: ٦.
(٨) نفسه: ٧٣.

مسؤولياتهم حيث كان (همهم جمع الأموال ومصادرة الأغنياء وفرض الضرائب)[١]. كل ذلك انعكس على شخص الكاظمي وأثر في ذاته.

لقد كان التعليم في تلك الفترة مقتصراً على الكتاتيب والدراسات الدينية لتعليم القرآن والتفسير والفقه الإسلامي ولم تتحسن الحالة التعليمية على الرغم من جهود مدحت باشا الذي (أدخل في المدينة والديار من الإصلاحات ماأدخل)[٢]. فتعلم الكاظمي على يد معلمين مبادئ القراءة والكتابة وكان ميالاً لكتب الأدب ودواوين الشعر أكثر من ميله لكتب الفقه والتفسير والفلسفة[٣].

انكب الكاظمي على قراءة الشعر وحفظه وحفظ منه آلاف الأبيات ولم يدرك العشرين بعد[٤].

وهاجر الكاظمي هجرتين الأولى إلى فارس حيث عاد بعد أشهر[٥] والثانية هجرة اللاعودة إلى مصر حيث خرج عام ١٨٩٧ إلى إيران ثم الهند وانتهى به المطاف في مصر عام ١٨٩٩[٦]. وأجمع من درس الكاظمي ان سبب الهجرة الرئيس هو الدافع الوطني والقومي (السياسي) ومناداته بالإصلاح للمجتمع لاسيما بعد تعرفه على رائد النهضة الشرقية السيد جمال الدين الأفغاني[٧]. فاتجهت اليه الأنظار ثم نفي الأفغاني من بغداد فأصبح موقف الكاظمي حرجاً لأنه من المتعلقين به[٨]. فطورد ثم خاف النفي والاعتقال فهاجر[٩]. في حين عده بعضهم ذلك المصلح الكبير الذي خافت سطوته الامبراطورية العثمانية فطاردته[١٠].

---

[١] انستاس الكرملي: خلاصة تاريخ العراق: ٢٠٧.

[٢] نفسه: ٢٠٧.

[٣] د. محسن فياض: شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي: ٢٢.

[٤] رفائيل بطي: الأدب العصري في العراق العربي: ٩٧.

[٥] رفائيل بطي: مقدمة المجموعة الثانية: ٤.

[٦] مصطفى عبد الرزاق: مقدمة المجموعة الاولى: ٦.

[٧] المصدر السابق: ٤.

[٨] رفائيل بطي: الادب العصري في العراق العربي: ٩٧.

[٩] الزركلي: الاعلام، ج٤، ٢٩٦.

[١٠] عبد الرحيم محمد علي: ذكرى شاعر العرب: ١٨.

وخالف هؤلاء الدكتور محسن فياض حيث أرجع أسباب هجرته إلى نزوة عابرة ولم تكن لأسباب سياسية لفشله في التجارة وظلم الزمان عليه[١].

ومن يراجع قصيدته الاولى في مصر (نعم أهل مصر) يلمح ذلك الاحساس القومي والوطني لديه:

نعم أهل مصر انتمو خير أمة وما الخير الا منكم يتفرع
لقد شاع عنكم كل فضل وسؤدد وسوف نرى للعقل ما هو أشبع

إلى أن يقول:

خذوا حذركم فالكاشحون بمرصد وانتم كما شاء الكواشح هجع
أرى اليوم موساً بكل شنيعة وأخشى غداً يأتي بما هو أشنع
ولكنني أرجو انتباهه حازم تصرّف عنا هول مانتوقع[٢]

وكانت مصر أبان بدية القرن الماضي ملجأ لكثير من الأدباء العرب وقد هاجر اليها كثير من الشعراء اللبنانيين فوجدوا هناك متنفساً لهم حيث كانت تمور بالأفكار وفيها راية نهضة شاملة حيث كان لها (الفضل الكبير في وضع لبنات التطور)[٣] فكانت قبلة المثقفين والشعراء العرب بلا منازع.

عاش الكاظمي الشطر الأعظم من حياته في مصر واختلط بأدبائها وشعرائها[٤]. وكان البارودي كثير التودد على الكاظمي يجلس منه مجلس التلميذ[٥] وصحب محمد عبدة وقال فيه قصائد جميلة.

وتوفي الكاظمي بعد شظف في العيش ومكابدات الغربة في (مارس سنة ١٩٣٥)[٦] ودفن في مصر.

الغربة والحنين عند الكاظمي:

الشاعر الكاظمي وان كان يمثل جيلاً من الشعراء الذين برزوا في نهاية القرن التاسع عشر حيث طغت الموضوعات التقليدية من رثاء ومدح وفخر وغزل وموضوعات متهافتة كثيرة في شعرهم، الا ان مايميز الكاظمي في شعره ملاحظتان هما ذلك الشعور القومي الناصع حيث الدفاع عن الأمة العربية بوصفها محوراً لآرائه السياسية والفكرية

---

[١] محسن فياض: شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي: ٥٨.

[٢] الديوان: ٥١/١.

[٣] د. يوسف عز الدين: فهمي المدرس: ٢٣.

[٤] احمد قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث: ٩٥.

[٥] عبد الرحيم محمد علي: ذكرى شاعر العرب: ٣٢.

[٦] د. محسن فياض: شاعر العرب: ١٠٩.

حيث كرس نسبة عظيمة من شعره وفق هذا التصور والثانية ميزة الحنين الجارف المتدفق وذلك الاحساس بالغربة الذي يخفق من شدته إحساسه القومي بوحدة أرض العرب، فمصر هي الشام والشام هي العراق، ويمكن تقسيم شعره في موضوع الحنين إلى ثلاثة أقسام:

١- الحنين الشخصي (الذاتي).
٢- الحنين ممزوجاً بالدوافع الوطنية.
٣- الحنين ممزوجاً بالدوافع القومية.
٤- أمنية العودة ومعادلة الغربة.

أولاً- شعر الحنين الشخصي (الذاتي):

سواء أهاجر الكاظمي مجبراً نتيجة لمطاردة السلطة له وهو مانعتقده أم أن هناك أسباباً أخرى كما لاحظ الدكتور محسن فياض فقد كان شعره ينبوعاً يفيض بالحنين إلى الوطن وتذكر الأحباب والأصدقاء وله قصائد كثيرة وطويلة يتشوق فيها لوطنه وأصدقائه وأحبائه ويتذكر أيامه السعيدة وهو بالقرب منهم:

أخـــــذتُ بالقلـــــبِ لوعتـــــهُ أخـــــذان النـــــارِ بالحطـــــبِ
ومشـــــتْ فـــــي الخـــــدِ عبرتـــــهُ مشـــــيةُ الأنهـــــارِ بـــــالترِبِ
أنـــــا فـــــي حِـــــلّ ومرتحَـــــلٍ حاضـــــرُ الأشـــــواقِ للغيـــــبِ
إن يكـــــنْ جســـــمي تجنـــــبهم ففـــــؤادي غيـــــرُ مُجتنِـــــبِ[١]

ومن سيرة الكاظمي نراه رجلاً كثير الترحال قبل استقراره في مصر، فمن بغداد إلى إيران ومنها إلى الهند فمصر والى الأردن ثم إلى مصر:

تتـــــوقُ نفســـــي إلـــــى مَـــــنْ قضـــــى علـــــيَ بتَـــــوقِ
يخـــــتصَ بالبـــــدءِ أفـــــقٍ وذاكَ فـــــي كـــــلِّ أُفـــــقِ
فطَـــــوراً تـــــراهُ بمصـــــرٍ وتـــــارة فـــــي دمشـــــقِ
ولـــــيسَ كمثلـــــي غريـــــبُ فـــــي كـــــلِّ غـــــربٍ وشَـــــرْقِ[٢]

إن هذا التجوال والبعد عن الوطن ولد وبلور ماأسميناه بالحنين الشخصي الذي هو عبارة عن إعادة لاشواق وخواطر متوجة إلى أصحابه وأهله بعد ان فرقهم الدهر وشتت شملهم وقد يخالط هذا النوع من الشعر ذكر للوطن لكنه ذكر عام لايدخل في نطاق السياسة بل هو ذكر من أجل الحنين:

مـــــاخطرَ الرافـــــدانِ فـــــي خلـــــدي إلا ترانـــــي للعـــــينِ مُرفِـــــدها

---

[١] الديوان: ٨/١.

[٢] الديوان: ٣١٤/١.

مـــن عبـــراتٍ يمتـــدُ معبرهـــا علـــى خـــدودٍ بـــان فحـــددها
وكيـــفَ يَســـلو الحِمـــى ذو كمـــدٍ لـــمْ يـــدرَ طعـــم الســـلوِ مكمـــدها[1]

وأكثر ماتناول في قصائده التي أدارها حول الحنين الشخصي من خلال قصائد مرسلة إلى أصدقائه فهو يقول لصديقه محمد المازندراني:

دَعْ دمـــوعَ العـــينِ فالتصُـــبِ وســـهامَ البـــينِ فلتُصـــبِ
فلقـــدْ بـــانَ الخلـــيطُ ضُـــحىً وبـــه بـــرحَ الغـــرام وبـــي
الا لـــو شـــاهدت وقفتنـــا والهـــوى جـــاث علـــى الركـــبِ
وترانـــا يـــوم فرقتنـــا بـــين بســـام ومنتحـــبِ[2]

كذلك يأخذ تذكر الديار والوطن حيزاً من قصائده في الحنين الذاتي كقوله:

الا خبـــر مـــن ثَنايـــا العـــراق يطلـــعُ أو زورة يطـــرقُ
هَـــل الـــدارُ بعـــدي كعهـــدي بهـــا يُباركهـــا العـــارضُ المغـــدقُ
أم البيـــتُ أسْـــلمها للبِلـــى وعـــاثَ بهـــا الـــذئبُ والخرنـــقُ
أحبـــائي هَـــلْ كَلـــفُ شـــيقٌ يناشـــدهُ الكلـــفُ الشـــيقُ
وان خَفـــتَ البـــدرُ نحـــو الحِمـــى نَـــزتْ كَبِـــدي نحـــوكم تَخفِـــقُ
علـــى حـــرقِ أضـــلعي تَلتـــوي ومـــن علـــقِ أدمُعـــي تـــدْفِقُ[3]

ويظهر عهد الشباب وتذكر أيامه كمحفز واضح لهذا الشعر حيث الأصدقاء والايام الهانئة والشباب البض يقول:

رحـــلَ الشـــبابُ ورُبَّ مرتحـــلٍ وَلّـــى وخلَـــفَ أطيـــبُ الـــذِكرِ
أمعاهـــدُ الأحبـــابِ هَـــلْ خبَـــرٌ تَســـرى بـــهِ الـــروحُ مايســـري
مَـــالي إذا قِيـــل الخطـــوبُ جـــرَتْ غيْـــرُ الـــدموعِ علـــيهم تجـــري[4]

فأيام الصبار والشباب أيام الحيوية وبإنقضائها يشعر الإنسان بتواري أحلامه وتخبو جذوة الحياة لديه فما بالك إذا كان الإنسان شاعراً مغترباً عن دياره:

يـــاعين طلَـــكِ وابـــلُ أبـــداً ووبـــل ســـواكِ طَـــلُ

---

[1] الديوان: ٢٤٧/٢.

[2] الديوان: ٨١/٢، وأنظر قصائد وصف رحلة: ٧/٢. وذكر صديق: ٩١/٢.

[3] الديوان: ١٧/٢.

[4] الديوان: ١٩/٢.

وجـــــواكَ يـــــاوطني لَـــــهُ ببـــــواطنِ الاحشـــــا شـــــعلُ
لـــــولا الضـــــنَى وصـــــروفهُ لســـــرتْ إليـــكِ الـــذكر رجـــلُ
ذكـــــراك يـــــاوطن الصِـــــبا ذكـــــراي أرحـــــلْ أو احـــــلُ[1]

وتعد مطولته (سلو فارسَ الهيجاء عن وثباته) إحدى أروع قصائد الكاظمي في تناوله لموضوع الحنين إلى وطنه وبغداد بوجه خاص:

أبغـــداد لا فاتتـــك منـــي تحيـــةٌ يفســـرُ عنهـــا مـــاأرادَ المفســـرُ
حنينـــاً إلـــى تلـــك البقـــاعِ إلـــى التـــي تطيـــبُ إلـــى تلـــكَ التـــي هـــي أطهـــرُ
حنينـــاً إلـــى الـــزورا حنينـــاً إلـــى الصِـــبا حنينـــاً إلـــى العـــودِ الـــذي هـــو أنظـــرُ
حنينـــاً إلـــى تلـــك القـــرى والـــى الـــذي يعـــيشُ بهاتيـــكَ القـــرى ويُكبّـــرُ
حنينـــاً إلـــى أرضِ مـــن حييـــتُ بتربهـــا ويـــا ليتنـــي فـــي ذلـــكَ التُـــربِ أقْبَـــرُ

ثانياً- شعر الحنين ممزوجاً بالدوافع الوطنية:

تظهر هذه الصفة في شعر الحنين والغربة لدى الكاظمي ظهوراً واضحاً من خلال بيان نواحي الحب والاعتزاز والحنين للوطن مازجاً إياه بقضايا السياسة المعاصرة له مزجاً متقناً. فهو إذ يتشوق لوطنه وأهله ينعطف بالقصيدة إنعطافة وطنية واضحة ينسى من خلالها ما اعتمل بصدره من حنين وشوق ليتناول مايجري في وطنه (العراق) من أحداث سياسية مفاخراً ومحذراً ومحفزاً إلى النهوض.

فمن قصيدته أنين وحنين:

طَالمـــا أُرســـلَ الحـــديثَ شـــجوناً مُرسِـــلُ الـــدمعِ فـــي الـــديار سَـــخينا
مَـــنْ لمضـــنى جنَـــتْ عليـــهِ الليـــالي وطوتْـــهُ عـــن الرفـــاقِ ســـنينا
إنَ لـــي فـــي العـــراقِ داراً وأهـــلاً تنبـــو عليهـــا الـــدِيارُ والاهلونـــا
إنْ أرِدتُـــم شـــرحَ الهـــوى فـــاقرَأوه فـــي جَبينـــي حَواشـــيا ومتونـــا

ثم ينتقل فيقول:

قُـــمْ مَعـــي نُبصِـــرُ الأمـــورَ عِيانـــا أمِـــنَ الشـــكِ مَـــنْ أصـــابَ اليقينـــا
أكـــذا تصـــبحُ الخطـــوبُ وانســـى ويـــزولُ البنـــاءُ والبانونـــا
ايـــنَ بـــاني بغـــداد أيـــنَ مبـــاني عزّهـــا أيـــنَ أهلُهـــا الصـــالِحونا
دولـــةً مـــن غِراسِـــها الأفضـــلونا

[1] الديوان: ٢/٢١.

ايـــنَ مامونهـــا المؤســـسَ فيهـــا ... وســـيغدو لمجـــدكِ الحاســـدونا
ايـــه بغـــدادَ لاتســـوءكِ الليـــالي مفخـــرُ الأولـــينَ والآخرينـــا
أنـــتِ فـــي العـــز أولاً وأخِيـــرا مـــارواهُ مـــن مجـــدكِ الأولونـــا[1]
ســـيقولُ الـــرواةُ عنـــكِ أخيـــرا

إن انعطاف الكاظمي في قصيدته هذه انعطافة سريعة من حالات نفسية باكية وتشوق مرهف للأهل والوطن والأحبة إلى الدخول في شعر سياسي ووطني خالص تختفي فيه صفة الحنين وتظهر بدلها صيغة جديدة تضفي على القصيدة طابعاً سياسياً ووطنياً واضحاً وهذه الانعطافة وان كانت تبدو منفصلة عن مقدمتها في الحنين الا ان الواقع يظهر خلاف ذلك إذ يمكن عدها بعد انتقال الشاعر إلى شعره الوطني امتداداً لحنينه وشوقه وغربته فهو يتألم أن يصاب أعز ما عنده –وهو الوطن– بمكروه فهو إذن حنين قد مازجه شعر وطني فيه يظهر نبض الشاعر الوطني وحسه المرهف الذي يملي عليه الابتعاد عن الحنين السلبي والبكاء وتذكر الايام إلى فعل مقتدر وكلمة قوية ترد للوطن بعض ديونه على الشاعر يقول:

إذا ماقِيـــلَ بغـــدادُ كوَاهـــا بلاعجـــةِ الحنـــينِ فقـــد كـــواني
أشـــاطرها الحنـــينَ ولا أبـــالي أأسْـــعَدني المُـــداجي أم لحَـــاني
ومَـــنْ شـــاءَ الوقـــوفَ علـــى اعتقـــادي فـــديني أولُ و(الكـــرخُ) ثـــانِ
أحـــبُ (الكـــرخَ) اســـمعُ أو أراه وليـــتَ (الكـــرخُ) يســـمعُ أو يرانـــي
وأهـــوى فـــي الرصـــافةِ ماجنتـــه ومـــاأهوى ســـوى غـــررِ المجـــاني

ثم ينتقل بعد هذا ليقول:

أتـــاني ان بغـــداد أُريحـــت فَـــلا كَـــذبَ البشـــيرُ بمـــا أتـــاني
أريحـــت مِـــنْ ليـــالٍ كُـــنّ نـــارا فمـــن بكـــر تشـــبُ ومـــن عـــوان
وردَّ لهـــا التـــراثُ فـــلا بعيـــد ينازعهـــا التـــراث ولا مـــدان
أعنـــدك عـــزة البلـــدان مـــن أن تخـــوري فـــي جهـــادِك أو تـــواني
إذا نامـــت ضـــبائك قـــل ســـلاما علـــى تلـــكَ المنـــازل والمعـــاني[2]

---

[1] الديوان: ١٣٧/١.

[2] الديوان: ١٣٠/١-١٣١.

ويلاحظ امتزاج شعر الغربة والحنين بالشعر السياسي الوطني بصورة جلية في قصيدة (وطني أنت كل ماأتمنى) حيث يبدأ بذكر الأحباب والشوق لهم:

ليتَ مَنْ كابدَ الهوى كانَ عوناً ... لي إنْ قيل ذو جوى معمودُ
ياحبائي والتعطفُ ديْنُ ... أين في (الكرخِ) عهدنا المعهودُ
قصروا يوم صدكم بوصالٍ ... قبل يومٍ يطولُ فيه الصدودُ
لو علمتم ما حل بي لعلمتم ... ان خطي من بعدكم لشديدُ

ثم يقول:

أيها القوم ثابروا لاتلهكَم ... عدة هولوا بها أو عديدُ
أتروضُ الصعاب الا صعابُ ... أم يفلُ الحديدُ الا الحديدُ
بادروا الامر واجهدوا فلكم ذلك ... صعبُ الأمور جهد جهيدُ
وإذا ماستبدَ خطبٌ عظيمٌ ... فاستبدوا به وان عادَ عودوا[1]

ويبقى العراق في جوانح الكاظمي ينطق به ولا يفارق وجدانه مخلصاً له ولترابه برغم عذاباته:

وأشد الجوى على نفسي وقعاً ... حينَ تذكو جوانحٌ وقلوب
مايدار به في البلادِ طريدُ ... ويعانيه في الديار غريب
رُبَّ هَمٍّ يضمهُ الصدرُ منَّا ... ضاقَ عن ضَمهِ الفضاءُ الرَحيب[2]

ويبقى العراق في جوانح الكاظمي قلباً ينبض بالحب:

وكم قائل سِرْ نحو مصرٍ ترى المنى ... وأنتَ على كلِّ البلادِ أميرُ
فقلتُ لهم والدمعُ مني مطلقٌ ... أسيرُ وقلبي في العراقِ أسيرُ[3]

---

[1] الديوان: ١٨٨/١.
[2] الديوان: ٨٩/٤.
[3] الديوان: ٤٥/١.

شعر الحنين ممزوجاً بالدوافع القومية:

الكاظمي شاعر قومي بحسه وحدوي بجهاده كرس نفسه وشعره في سبيل وحدة الأمة العربية يمتلك شعوراً واضحاً لهذه الوحدة، وهو من الشعراء القلائل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الذين كرسوا كماً هائلاً من شعرهم في هذا الاتجاه فقد كان (يمثل الدعوة العربية تمثيلاً واضحاً فهو عراقي سكن القاهرة وكان أمراء العرب يؤازرونه في دعوته حتى انه اعتبر ممثلاً للدعوة العربية التي جند لها نفسه وأخلص لها كل الإخلاص)[١].

وديوان (شاعر العرب) الكبير حافل بمطولات من الشعر القومي الذي يعبر به عن إحساس صادق ونظرة جادة لمشكلات الأمة والتي أرجعها عبر منطق سياسي بارع لأسباب التجزئة التي تمر بها الأقطار العربية. فقد عاصر الكاظمي الأحداث الجسام التي مرت على الوطن العربي بدءاً بالاستعمار العثماني والحرب الأولى واغتنام فرصة الحرب لتقسيم الوطن العربي وانتهاب أجزائه. ومن خلال ذلك كان لوقع الوحدة ومفهومها أثر في شعره حيث هي العلاج لكل مايمر بالأمة.

وهو وان كانت نظرته للوحدة تسير عبر دفاعه عن وحدة الامة بمفهومها القديم بحيث انها لم تتطرق مثلاً إلى أقطار المغرب العربي أو الخليج الا انها في النهاية تصب في مجرى توحيد الوطن العربي. وعلى الرغم من تأثره الكبير بأفكار محمد عبده وقبله استاذهما جمال الدين الأفغاني الا ان فكره الوحدوي كان متميزاً حيث انه لم يدع إلى الوحدة من خلال منظور ديني متعارف عليه ولم يكرس أفكاره لدعوات دينية أو إصلاحية كما فعل محمد عبده في محاولته للإصلاح عن طريق إصلاح انحطاط الأمة الإسلامية عن طريق تبني المؤسسات الأوربية أو تأكيده على الأمة المصرية بمفهومها الضيق القطري[٢].

وإنما جاءت أفكاره ناصعة باندفاعها الوحدوي العربي الخالص:

فرحتُ أُداري الحب ثُم أُذيعه واعلنُ احياناً هواكُم واكتمُ
وما بك يامصر ببغدادَ نازلٌ وفي جُلَقٍ أدهى وفي القدسِ أجسمُ

---

[١] د. يوسف عز الدين: الاشتراكية والقومية وأثرهما في الأدب الحديث: ١٤١.

[٢] البرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة: ٤٨.

هنالِــكَ أحشـــاءٌ تـــذوبُ وهـــا هنـــا قلـــوبٌ متـــى حَركتهـــا تتضـــرمُ[1]

إن حب العرب يجري في دمه ويمتزج بكيانه فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده في الفخر والتفجع لما أصابهم من ظلم وتعسف[2].

وكان لشعر الحنين حصة في شعره القومي مازجاً فيه بين عاطفته المتدفقة حنيناً ولوعة تحتها غربته عن وطنه وبين هدفه الوحدوي حيث انه ينسلخ في أغلب قصائده هذه من المقدمة الأولى للقصيدة والتي يكون شعر الحنين موضوعها الرئيس إلى هدفه الأساس الذي من أجله قال قصيدته:

نَاشـــدوا الـــدارَ جهـــرةً وســـراراً إن أردتُـــمْ عـــن الحمـــى استفســـارا
اســـألوها واســـتخبروا فعســـاها تســـتطيعُ الجـــوابَ والاخبـــارا
واقبلـــوا عـــذرها إذا هـــي أبـــدتْ بَعْـــدَ لأي عـــن الجـــوابِ اعتـــذارا
لـــم تَـــدعْ عنـــدها يَـــدُ الظلـــم إلا شَـــجناً وامقـــاً وقلبـــاً مطـــارا

إلى أن يقول:

ياأحبـــــائي والمـــــزار بعيـــــدُ قربـــــوا للمحـــــبِ ذاكَ المـــــزارا
قربـــوا العـــراقَ والشـــامَ أفـــدي وطنـــاً جـــارَ أهلَـــه والجـــوارا
هـــل لكـــم بالنصـــير علـــمٌ فـــأني قـــد جَهلْـــتُ الاعـــوانَ والانصـــارا[3]

ومن هنا تتوضح نغمة الحنين الجارف التي تغلف القصائد ذات المضامين القومية، حيث ان الشاعر يطلق لحنه الرقيق لإيصال أفكاره إلى المتلقين أي انه لايدخل لموضوعه مباشرة بل عبر فيض من المشاعر الرقيقة التي لاتلبث ان تكون ثورة عارمة:

تـــــولى القلـــــبُ شـــــاغله جـــــوىً غنـــــاه داخِلـــــهُ
إذا عاينتـــــــــهُ رجعـــــــــتْ إلـــــــى قلبـــــــي قواتلـــــــهْ
وان راجعتـــــــــه طلعـــــــتْ بآفـــــــــاقي أواملـــــــــهْ
يعـــــاونني علـــــى حِملـــــي متـــــى أعيـــــت محاملـــــهْ
ويهـــــديني إلـــــى عمـــــلٍ عظـــــيمٍ ظـــــلَّ عاملـــــهْ

---

[1] الديوان: ٢٨٠/١.

[2] د. محسن غياض: شاعر العرب: ١٢١.

[3] الديوان: ١١٦/٢.

بـــأعلى الكـــرخِ لـــي وطـــنٌ وفـــي مصـــرٍ معادلـــهْ
وفـــي بغـــدادَ ينـــزلُ بـــي هـــوىً فـــي مصـــرَ نازلـــهْ

إلى أن يقول:

فـــلا (ســـا رأى) ســـارَ بـــه ولا (جوذقيـــل) واصـــلهْ
فـــلا كـــان الـــذي يســـطو علـــى ذي الحـــق باطلـــه
وجـــيشُ الظلـــمِ لاصـــهلتْ بكـــل حيـــاً صـــواهلهْ
متـــى يغـــدو لنـــا وطـــنٌ كمـــا الأوطـــان ماثلـــهْ
تطـــول بنـــا حكومتـــه إذا ماطـــالَ طائلـــهْ[1]

فالمعاناة القومية واضحة لدى الشاعر من خلال قراءة القصيدة السابقة، فهو يحس بتحمل المسؤولية وثقلها اتجاه بني قومه فإن له وطناً بالعراق يعادله وطن في مصر ثم ينتقل إلى الشام وكيف ان الاستعمار الفرنسي قد ضربها عام (١٩٢٥) بأمر من القادة الفرنسيين.

وكانت المناسبات كزيارات القادة أو الأصدقاء لمصر محفزات رئيسة لانطلاق شعره الوحدوي المغلف بغلاف شعر الغربة والحنين متذكراً الايام الخوالي وطالباً الوصال والقرب ومشتاقاً للأحبة والرفاق:

ماظنَنَـــا الزمـــانُ يســـمحُ يومـــاً بعْـــدَ طـــولِ الفـــراقِ أن نتلاقـــى
إن عقـــدَ الأحبـــاب نســـقُ حتـــى زادهُ منظـــرُ الجـــلالِ إتســـاقا
حبَـــذا ســـاعة تلاقـــت مُحبـــا مـــن ســـقامٍ واســـعفتْ مُشـــتاقا

بعد ذلك تنطلق قريحته في إبداء النصائح مادحاً شخصية الزائر ثم ينتقل إلى آلام أمته ويذكر ما مرّ بها من مصائب ومحن:

تلـــكَ ســـوريا التـــي سَـــيروها اغلقـــوا الـــنهجَ دونهـــا إغلاقهـــا
حَمَّلوهـــا مـــا لا تطيـــقُ وقـــالوا إن حجـــلَ الإذلالِ كـــان مطاقـــا

حرموها مواردا من غِناها الجم حتى تحولتْ إملاقا إلى أن يقول:

ســـنوالي الجِهـــاد دونَ بـــلادِ أرهـــقَ الظلـــمُ أهلَهـــا إرهاقـــا
أو يعـــود العـــراقُ منهـــا شـــآماً ويعـــودُ الشـــآم منهـــا عِراقـــا

[1] الديوان: ١٤٤/٢.

وامـــا الشـــرق المعـــذب مصـــرٌ مشـــرقٌ نـــور عزِهـــا إشـــراقا[1]

أمنية العودة ومعادلة الغربة:

ظل الكاظمي لآخر أيامه يمني نفسه بالعودة إلى العراق وربوع بلاده وأماكن صباه ولأن العودة للوطن أمنية كل فرد مغترب حيث يشعر بنفسه وقد تحملت ثقل الغربة وأن لها الرجوع لمستقرها وكان هذا الهاجس مرافقاً لكثير من قصائده:

ولكـــم أقـــولُ وفـــي الحشـــا لهـــبُ وســـــحائبُ العبـــــرات تَنْهمِـــــلُ
يادارُنـــــا بـــــالكرخِ لا بَعُـــــدَتْ بـــي عـــن ثـــراكِ الأنيـــق الـــذللُ
تفـــديكِ نفـــسُ فتـــى قـــد إحْتمَلـــتْ مِـــن عبئِهـــا مـــا لـــيسَ يُحتمـــلُ
طـــالَ المـــدى فالقلـــبُ فـــي جـــزعٍ والطـــرفُ بالتســـــهيدِ مُكتحِـــلُ[2]

وكلما اشتدت عليه صروف الدهر وعضّته نوائبه لايجد غير بلاده يحن إليها ويناديها ويمني نفسه بالعودة إليها:

قَصِـــروا يـــومَ صـــدكم بوصـــالِ قبـــلَ يـــومٍ يطـــولُ فيـــهِ الصـــدودُ
لـــو علمـــتم ماحـــلّ بـــي لعلمـــتم إنَ حظـــي مـــن بعـــدِهم لشـــديدُ
راحتـــي مصـــرُ حيـــث صِـــرْتُ إليهـــا وزروتـــي العـــراق حيـــث أعـــودُ
والـــذي أنشـــدُ التقـــربَ منـــه هـــو يـــوم وصـــاله المنشـــودُ
ذاكَ بيـــتُ القصـــيد منـــي لابَـــلُ رجـــزي ذاكَ كلـــه والقصـــيدُ[3]

وتشتد عليه الغربة لأيام الصبا ورفاق العمر وذكرياته في العراق فيحن إليها حتى تكون أغلى أمنياته العودة إلى العراق:

ان لـــي فـــي العـــراق داراً واهـــلاً تنبـــو عنهـــا الـــديارُ والأهلونـــا
ان أردتـــم شـــرحَ الهـــوى فـــاقرؤه فـــي جبينـــي حَواشـــيا ومُتونـــا
إن يكـــنْ بـــاتَ فـــي الكنانـــةِ جســـمي ففـــؤادي فـــي الكـــرخِ ظـــلّ رهينـــا
أرفـــاق الصِـــبا ولـــيسَ حـــرامٌ أنْ أُنـــادي رفـــاقي الاقـــدَمينا
قربونـــا مـــنكم ففـــي البعـــدَ هجـــرٌ واســـمعونا علـــى الحنـــينِ حنينـــا

---

[1] الديوان: ١٥١/٢.

[2] الديوان: ٤٩/١.

[3] الديوان: ١٨٧/١.

أيهـا الأمـلُ الـذي حـارَ فـي الأمـرِ واولـى مـن الظنـونِ الظنونـا[1]

فما السبيل إذن إلى معادلة الغربة وإمكانية العيش وسط هذا الحنين الجارف، ان العامل الحاسم في ذلك كما أرى هو الانغماس في الشعر القومي وإزالة الفوارق المصطنعة بين البلاد العربية حتى يتواءم الشاعر مع مبادئه القومية من جهة ومع وضعه حيث ضغط الغربة وهياج شوق الحنين فنهج ذلك المنهج القومي الوحدوي وكرس حياته للدفاع عن الوحدة، وهذا الشعور خلق له الجو النفسي الملائم لتخفيف غربته:

هـل بعـد ذكـرِ الحبيـبِ ذكـرى أحلـى لـدى ذي الجـوى وأمـرى
وهـل سـوى القلـبُ حـينَ يصـبو تأتيـهِ رسـلُ الغـرامِ تتْـرى
وليلـةِ بتهـا بمصـرٍ حَسـبتُ فيهـا العـراقَ مِصْـرا[2]

شعر الغربة والحنين فناً:

الكاظمي شاعر تقليدي ينتمي إلى مدرستين مدرسة فرضت وجودها في القرن التاسع عشر ونهاياته حيث التمسك بالأغراض التقليدية والموضوعات الخاصة والضيقة ثم الانفتاح على موضوعات عامة وإصلاحية ووطنية وقومية حيث انتمى للتيار الثاني وعرف به، وظل أسلوبه أسلوباً بدوياً ويظهر ذلك جلياً من خلال الشعر موضوع الدراسة (شعر الحنين والغربة) حيث يلاحظ المطالع لشعره إنتماءه إلى عصور الشعر العربي الأولى من خلال صيغه ومفرداته ولغته وتراكيبها، فالكاظمي (تمسك بالماضي والموروث والروح البدوية تمسكاً لم يحد عنه وكان في هذا أصيلاً بالقدر الذي تسمح به ثقافة عصره ولم تؤثر فيه أية دعوة للتجديد في الشعر على الرغم من اطلاعه على آراء أدباء شعراء المهجر وأصحاب الديوان وجماعة ابولو)[3].

فالأساليب البلاغية واضحة في شعره كقوله:

فإنّ الذي في الكونِ عنه مفرقُ وان الذي في الكونِ فيه مُجمِعُ[4]

حيث تجد (مفرق) و(مجمع) وقد جمعهم طباقاً في بيته.

وقوله:

---

[1] الديوان: ٢/٢٣٠.

[2] الديوان: ١/١٢١.

[3] د. جلال الخياط: الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور: ٩١.

[4] الديوان: ١/٥١.

أنا في حلٍ ومرتحل حاضرُ الأشواق للغيب

فحل ومرتحل وحاضر وغيب كلها طباقات لم تخدم شعره بشيء[١].

أو الجناس في قوله مقترباً مع الطباق:

دَعْ دموعَ العينِ فلتصب وسهامُ البينِ فلتَصبِ

وترانا يومَ فرقتنا بين بسّامٍ ومنتحبِ[٢]

حيث تصب الاولى بمعنى تجري والثانية بمعنى الإصابة.

ومن هذه الأمثلة للأساليب البلاغية كثير[٣].

أما صوره الشعرية فهي صور باهتة وان كانت لغتها لغة رصينة جزلة الا أنها تفتقر إلى الإيحاء العميق وهو أقرب إلى السطحية والبساطة. في حين تفتقر كثير من قصائده إلى الصور أصلاً وتنحو نحو النثرية والتقريرية من ذلك قوله مثلاً:

يدبُ عليها مثلما دبّ عقربٌ وينسابُ فيها مثلما انسابَ أرْقمُ[٤]

فالصور باهتة وليس فيها من الابداع في شيء ومثل ذلك قوله:

أخذت في القلبِ لوعته أخذانِ النار بالحطبِ

ومشَتْ في الخدِّ عبرته مشية الأنهارِ بالترِبِ[٥]

فالتشبيهات الموحية بالصورة تشبيهات واضحة وتقليدية وهذا ماينطبق على أغلب صوره الشعرية.

أمّا لغته فيمكن أن نلاحظ اختلاطها بظاهرتين الاولى جنوحها نحو المفردة القديمة والصيغ والتعابير التي تمد جذورها لبدايات الشعر العربي والأخرى نثريتها وبساطتها حتى تلامس المفردات اليومية يقول مثلاً:

وكيفَ يَسلو الحِمى ذو كمدٍ لم يدر طعم السلو مكمدها[٦]

وقوله:

---

[١] الديوان: ٢/٨٠.

[٢] الديوان: ٢/٨١.

[٣] لاحظ الديوان: ٢/١٩، ٢/٢١، ١/١٣٧، ١/٤٥.

[٤] الديوان: ٢/١١٦.

[٥] الديوان: ٢/٨١.

[٦] الديوان: ٢/٢٤٧.

هـــل الـــدار كعَهـــدي بهـــا يُباركهـــا العـــارضُ المُغـــدِقُ
أم البـــين أســـلمها للبَلـــى وعـــاث بهـــا الـــذئبُ والخرنـــقُ

فالعارض الغدق وكمد والبين والبلى والذئب مفردات وصيغ قديمة متوارثة تدلل على انتهاجه نهج القدماء في تكوينه الشعري وأمثلة ذلك كثيرة في شعره كقوله:

يادارَ زايلكَ الانيسُ وعدت للرائينَ وَحْشا[1]

في حين تقترب لغته كما ذكرنا من النثرية والكلام اليومي البسيط كقوله:

أيهـــا القـــوم ثـــابروا لاتلهكَـــم عـــدة هولـــوا بهـــا أو عديـــدُ
أتـــروضُ الصـــعاب الا صـــعابُ أم يفـــلُ الحديـــدُ الا الحديـــدُ
بـــادروا الامـــر واجهـــدوا فلكـــم ذلـــك صـــعبُ الأمـــور جهـــد جهيـــدُ[2]

ومثل ذلك كثير منتشر في شعره وربما أملته عليه ظروف المناسبة التي قيل فيها أو أسلوبه في ارتجال القصائد[3].

ومن المميزات الأسلوبية في شعره اتجاهه نحو التكرار في كثير من مواضعه، وقد يدلل هذا التكرار دلالات نفسية تنبع من أهمية الموضوع عند الشاعر لاسيما في استذكاره لوطنه ومرابع صباه وحنينه اليها فهو يكرر مفردة (حنيناً) في بداية أبيات متوالية في إحدى قصائده:

حنينـــاً إلـــى تلـــك البقـــاعِ إلـــى التـــي تطيـــبُ إلـــى تلـــكَ التـــي هـــي أطهـــرُ
حنينـــاً إلـــى الـــزورا حنينـــاً إلـــى الصِـــبا حنينـــاً إلـــى العـــودِ الـــذي هـــو أنظـــرُ
حنينـــاً إلـــى تلـــك القـــرى والـــى الـــذي يعـــيشُ بهاتيـــكَ القـــرى ويُكبّـــرُ
حنينـــاً إلـــى أرضِ مـــن حييـــتُ بتربهـــا ويـــا ليتنـــي فـــي ذلـــكَ التُـــربِ أقْبَـــرُ[4]

أو ترد مفردة (الكرخ) المحببة إليه مكررة في عدة مواضع:

---

[1] الديوان: ١٠٨/٤.
[2] الديوان: ١٨٨/١.
[3] الديوان: ٨١/٢.
[4] الديوان: ٢٤٩/١.

ومَـنْ شـاءَ الوقـوفَ علـى اعتقـادي فـديني أولُ و(الكـرخُ) ثـانِ
أحـبُ (الكـرخَ) اسـمعُ أو أراه وليـتَ (الكـرخُ) يسـمعُ أو يرانـي[1]

وبعد فإن أسلوب النظم الشعري عند الكاظمي لايختلف عن (الرعيل الأخير من شعراء مرحلة التقليد حيث امتلأت قصائدهم بأسلوب نثري خطابي ينحسر به رواء الشعر وتأثيره)[2].

ومن النواحي التي استكملها الشاعر في نظم بعض قصائده في الحنين والغربة ذلك التناول الذي يذكرنا بتناول الشاعر الجاهلي لموضوعه حيث كانت المقدمة الغزلية (الطللية) إحدى لوازم تلك القصائد، لكن الكاظمي هنا استبدل تلك اللازمة بشيء أكثر معاصرة وان كانت اللغة تقرب فيه من لغة البداوة القديمة، انه يستكمل مقدمة للحنين والغربة يعرض فيها همه في البعد وتشوقه إلى الأهل والديار ثم يدلف إلى موضوعه الاساس في قصيدته لنلاحظ نموذجاً من ذلك من قصيدته (يادار زايلك الانيس):

يـادار زايلَـكِ الانـيسُ وعُـدْتِ للـرائين وَحْشـا
ان العيـونَ الباكيـاتِ عليـك قـد أصـبحنَ عِمشـا
خمشـت عليـكِ خـدودُها خُـردُ المعـالي الفُرِخَمْشـا

إلى ان يدخل في موضوعه بعد هذه المقدمة فيقول:

وتصـبُ فـي لهواتهـا ويـلاً يجِـشُ الهـامَ جشـا
وتصـكُ أسـماعَ الطغـاةِ وتحـرسُ الصـحَنَ الأجشَـا
تسـطو علـى تيجانِهـا وتثلهـا عرشـاً فعرشَـا[3]

الخاتمة

[1] الديوان: ١/١٣٠-١٣١.

[2] د. جلال الخياط: الشعر العراقي الحديث- مرحلة وتطور: ١٣.

[3] الديوان: ٤/١٠٨، وتلاحظ قصيدة (وطني انت كل ماأتمنى) الديوان: ١/١٧٨، والديوان: ٢/١١٦.

البحث في شعر الغربة والحنين عند الكاظمي بحث ليس بالجديد وقد مر عليه اغلب البحثين الذين درسوا الرجل وشعره فما الجديد لدينا في هذا البحث. أعتقد وبكل تواضع ان ماوضع يده عليه البحث يتركز في نقطة مهمة وهي الكشف عن كون هذا الشعر الوجداني الرقيق الذي فرضته الغربة والحنين إلى الوطن كان منفذاً مهماً من منافذ الشعر الوطني والقومي لدى الشاعر وأمكن توضيح ذلك الخيط الذي يربط بين هذا التناول الشعري وذاك، وهو المزج الرائع بين غرضين في قصيدة واحدة ومن ثم لايمكن الفصل بينهما حيث ظهر بأن دواعي الحنين كانت الدافع الأساس إلى ذلك الحس الوطني والقومي النبيل عند الشاعر ونحن هنا لانعني بأن كل الشعر القومي والوطني لديه يغلف بغلاف من شعر الحنين وإنما نقول ان ذلك شكل ظاهرة بارزة تستحق الوقوف والتأمل والإيضاح. وكان للدراسة الفنية المقتضبة دور في إبراز إمكانيات الشاعر الأسلوبية في إطار هذا الشعر.

كذلك توقف البحث عند ظاهرة معادلة الغربة لدى الشاعر، حيث أظهر بأن تلك المعادلة تمت من خلال الشعر الوطني والقومي. أضف إلى ذلك استعمال الكاظمي لمقدمة الحنين والشوق كمقدمة لكثير من قصائده لكي يدلف من خلالها إلى غرضه الأصلي وهذا يذكرنا بمقدمات شعراء ماقبل الإسلام وبعده حيث أصبح ذكر الديار والوقوف عليها لازمة من لوازم القصيدة حينذاك.

المصادر والمراجع

١- الأدب العصري في العراق العربي، رفائيل بطي، المطبعة السلفية، ١٩٢٣.

٢- الاشتراكية والقومية وأثرهما في الادب العربي الحديث، د. يوسف عز الدين، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٦٨.

٣- الاعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثانية.

٤- أمالي المرتضى، السيد المرتضى، أبو القاسم علي بن ظاهر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٤.

٥- تاريخ الشعر العربي الحديث، أحمد قبش، دار الجيل، بيروت، ب.ت.

٦- الحنين والغربة في الشعر العربي، د.نوري حمودي القيسي، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٢.

٧- الحنين والغربة في الشعر العربي، د. ماهر حسن فهمي، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠.

٨- خلاصة تاريخ العراق، انستاس ماري الكرملي، مطبعة الحكومة، البصرة، ١٩١٩.

٩- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٦.

١٠- ديوان دريد بن الصمة، جمع وتحقيق محمد خيري البقاعي، دار قتيبة، ١٩٦٢.

١١- ديوان عنترة بن شداد، شرح وتحقيق عبد المنعم رؤوف، القاهرة، ١٩٥٦.

١٢- ديوان الكاظمي، المجموعة الأولى، تحقيق حكمت الجادرجي، القاهرة، ١٩٤٨.

١٣- ديوان الكاظمي، المجموعة الثانية، تحقيق حكمت الجادرجي، القاهرة، ١٩٤٨.

١٤- ديوان الكاظمي، المجموعة الثالثة والرابعة، تحقيق رباب الكاظمي، وزارة الاعلام، العراق، ١٩٧٨.

١٥- دراسات في الشعر العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ب.ت.

١٦- ذكرى شاعر العرب، عبد الرحيم محمد علي، مطبعة الغرى الحديثة، ١٩٥٨.

١٧- رسائل الجاحظ، الحنين إلى الاوطان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٤.

١٨- زهر الآداب، أبي اسحق الحصري، تحقيق محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٣.

١٩- شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي، د. محسن فياض، وزارة الاعلام، العراق، ١٩٧٦.

٢٠- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ثعلب، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٤.

٢١- الشعر العراقي الحديث- مرحلة وتطور، د. جلال الخياط، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

٢٢- شعراء عراقيون، منذر الجبوري، وزارة الاعلام، العراق، ١٩٧٧.

٢٣- عراقيات الكاظمي، حسين علي محفوظ، بغداد، ١٩٦٠.

٢٤- عصور الأدب العربي، كاظم الكناني، دار النشر والتأليف، ١٩٤٩.

٢٥- الفكر العربي في عصر النهضة، البرت حوراني، بيروت، دار النهار، ب.ت.

٢٦- فهمي المدرس، د. يوسف عز الدين، معهد البحوث والدراسات العربية، ب.ت.